

قراءة النص القرآني بين الضوابط ومناهج الدراسة المعاصرة

د. محمد الأمين خلادي

جامعة أدرار

ملخص

تحاول هذه الدراسة تقديم بعض الشروط التي يجب توفرها في الدراسات المعاصرة للقرآن الكريم وتلك الضوابط المنهجية والعقيدية التي اختص بها كتاب الله تعالى ، من خلال ما أكدته العلماء والمفسرون واللغويون ، وضرورة معرفة المنهج المعجز الذي يميز القرآن الكريم عن كل نص. ومنه يمكن ذكر أمثلة من الباحثين في العصر الحديث ممن كتبوا بعض المقاربات العلمية في فهم القرآن الكريم في المعاني التي تتعلق بمضمون الآيات في سياق معين، وكذا قراءة التصوير المعجز والقصص القرآني والمشاهد في ضوء تلك الشروط والحدود.

Abstract

This study attempts to provide some of the conditions that must be met in contemporary studies of the Holy Coran and those methodological and doctrinal controls, which singled out by the Book of Allah, through what was confirmed by scientists, commentators and linguists, and the need to know the miraculous that distinguishes the Holy Coran in from other texts.

And then we can give examples of researchers in the modern era who wrote some scientific approaches to understanding the Holy Coran in the meanings related to the content of the verses in a particular context, as well as reading the miraculous Imaging and the coranic stories and scenes in the light of those conditions and borders

توطئة :

اخترت هذا العنوان على أساس ممارستي للبحث العلمي في الدراسات القرآنية فعمدت مباشرة إلى تحسس بعض الدراسات التي بحثت النص القرآني و بالأخص جانبه القصصي تحسس من يبتغي كشف الضوابط الشرعية والشرائط العلمية والمنهجية في إجراءات مجموعة من الدارسين وما مدى توفيقهم بين إملاءات الخطاب القرآني المعجز وما ذهبوا إلى انتقائه من أدوات علمية وفلسفية وغيرها عند إجرائهم للمقاربة.

أسس البحتة الأولون وعلى رأسهم جمهور المفسرين ومن منافسهم كالفقيين والفهاء والمفكرين والمستشرقين ... أصول القراءة والتدبر و التفسير والتأويل في فهم آيات الذكر الحكيم ومحاولة إلهام المتلقي ذلك ، فضل الأمر في أقضية كثيرة وبقي مكنون الإعجاز وأساره خفية مع انبجاسها آناء الليل وأطراف النهار بفعل الادكار والتدبر .

أحاول عرض بحوث نموذجية حاولت مقارنة المعاني القرآنية وتجلياتها البنيانية والجمالية المعجزة في الأحكام والمعاملات والحكم والقصص والأمثال وغيرها... مستهدية بالتراث أحيانا مستعينة بمناهج نقدية معاصرة أحيانا أخراة ثم أبرز آثار تلك المناهج في رؤى الباحثين ومدى علاقتهما بحقيقة المعجزة القرآنية وحاجة المتلقين إلى تلك الآثار أو استغنائهم عنها مع الإجابة عن أسئلة مثل:

هل يمكن مقارنة النص القرآني بمذاهب نقدية معاصرة؟
أيجوز إعمال العقل العلمي والإجراء الفكري الفلسفي في قراءة الآية الكريمة؟

ما حدود الفهم والإلهام والتفسير والتأويل لدى المتأخرين من المسلمين وغيرهم ؟

أثمة تكامل بين علماء الشريعة والإعجاز وعلماء الفكر النقدي في تلقي إشارات الذكر الحكيم ومحكمه ومتشابهه....؟
ماذا عن اتفاق أهل العلم على ضوابط القراءة للنص القرآني؟
هل يجب أن نمسك العصا من وسطها ونمارس نشاطا نقديا توفيقيا يقوم على مبدأ الفرز والانتخاب، بمعنى التنقيب في خزائن النقد الغربي عما يصلح لفهم وتأويل ودراسة القرآن الكريم ومقارنته علميا؟
ما دلائل العلمية في قراءة النص القرآني؟

8- أليس هناك حدود ومعالم وخصائص للمصطلح في قراءة القرآن العظيم وتميز ذلك عن منظومة اصطلاحية أخرى ؛ كفراق ما بين التفسير والنقد وما بين التدبر والتأويل... ؟

أيعني الانفتاح العلمي والفلسفي خلو الجهود التراثية والعربية الإسلامية من المقاربات الصحيحة للنص القرآني لفظا ومعنى ؟

10- أتكفي مقاربات المناهج النقدية النسقية المعاصرة وحدها في معرفة الدلالات من لغة النص وبيان الخطاب؟

11- ما حظ الخطاب النبوي من ضبط المقاربات الصحيحة للخطاب القرآني؟

من أجل ذلك وغيره عولت على اختيار عنوانات ذات بال في النماذج التي تعكس بصمات المناهج النقدية المعاصرة في الدراسات القرآنية أو ما يقارب تلك المناهج ومن ذلك :

جهود الأستاذين سيد قطب ومصطفى الرافعي ثم غيرهما من الأساتيد أمثال محمد عبد الله دراز، خالد أحمد أبو جندي، مالك بن نبي، عبد الملك مرتاض، سليمان عشارتي، صلاح الدين محمد عبد التواب، حبيب مونسى، محمد طول، صبحي إبراهيم الفقي...

وخطّة الدراسة هي :

- توطئة .

- الضوابط والآلات والشرائط من النظر والأصول إلى التطبيق والإسقاط و المقاربة .

- دراسة في النماذج المختارة واستنباط المعاني والضوابط :

- نتائج وتوصيات و مقترحات.

- خاتمة.

الضوابط والآلات والشرائط من النظر والأصول إلى المقاربة والدراسة؛ لقد عمل علماء السلف كل ما في وسعهم لخدمة كتاب الله تعالى وتبياناه قصد نصح المسلم وتوجيهه بدءاً بمعرفة اللغة القرآنية ونظمها المعجز وتوضيح آيات الفهم بعلوم القرآن الكريم كالذي صنعه العلامة السيوطي والزركشي في إفهام القارئ والمتعبد كلام المولى بإدراك المفاتيح المؤهلة إلى الفهم الصحيح ؛ وقد قال الإمام ابن قتيبة « فأما منهج القرآن ونظمه و تأليفه و رصفه ، فإن العقول تتيه في جهته وتحار في بحره ، وتضل دون وصفه » - الباقلائي، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف القاهرة، ط 5. 1954، ص 183، من أجل ذلك حدد العلماء الشرائط وأبانوها للمتعلمين والمعلمين على حد سواء وذاك منطق تلقن أي علم ومعرفة ، فما بالك بتعلم كتاب الخالق تعالى ؟!

وللعلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي قول فصل في هذا الشأن - بعنوان : جنون القراءة المعاصرة .. من أين ؟ وإلى أين ؟ وذلك في ندوة: القرآن بين التفسيرات العلمية والشطحات الذاتية - قول « يتحدث القرآن عن ذاته معرّفاً، فيقول: ((قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ)) الزمر: 28/39" أي إنه كتاب يخاطب الناس بلغة عربية واضحة الدلالة، ذات أسلوب قويمة قراءة معاصرة،

لنصّ تنزّل وحياً من الله قبل خمسة عشر قرناً، بمقتضى أصول التخاطب آنذاك.. كيف يستوعب المنطق وقانون فقه اللغة هذا الكلام؟!..

لو جاز إخضاع النصوص التاريخية لما يسمى بالقراءة المعاصرة، إذن لاختفى التاريخ واندثر، ولانقطعت صلة الحاضر بالماضي.. ونظراً إلى أنه ليس في الباحثين وعلماء اللغة من يعاني من الجنون، بحمد الله، فإن أحداً منهم لم يُقدم بعد على هذه التجربة.

ولكن ظاهرة هذا الجنون تظهر فقط، في إخضاع القرآن دون غيره لهذه القراءة العصرية التي تفصله عن تاريخه وتقطع صلة ما بينه وبين ما يعنيه به صاحبه المتكلم به.

فمن هو صاحب الفكرة الأولى لهذه القراءة؟.. وما الغاية المقصودة منها؟ أما صاحب الفكرة فجمعية صهيونية في فينّا، فرغت منذ عام 1991 من تجربة على هذا الطريق، وأخرجت أول كتاب يحمل القرآن معاني جديدة منفصلة عن المعاني التي تربطها به اللغة طبق قانون الدلالات ثم هي معانٍ لا تمت بنسب إلى الإسلام قط. ثم إن هذه الجمعية أخذت تبحث في العالم العربي عمن يتبناه ويدعيه كمؤلف له، ولعلها عثرت أخيراً على الشخص المناسب الذي وافقها على ذلك، كما عثرت على نظيره في بعض البلاد الإسلامية الأخرى.

وأما الغاية المقصودة منها، فهي تفريغ القرآن من مضمونه الاعتقادي والتشريعي والأخلاقي، وتحويله إلى وعاء فارغ مهياً لكل ما يمكن أن يلصق به من المعاني والأفكار.

وهي في الجملة آخر تجربة على طريق السعي إلى تفكيك البنيان الإسلامي ابتغاء صرف المسلمين عن ضوابطه وإحكامه، ثم إخضاعهم لتيار الحضارة الغربية، ومن ثم القضاء على ما يسمى بالخطر الإسلامي القادم من الشرق والذي يغزو كلاً من الغرب الأوروبي والأمريكي بمعتقداته العلمية وأحكامه السلوكية.

ترى، هل سيواصل هذا التخبط الجنوني الذي يتجاهل معنى اللغة وقواعدها سعيه اللاهث إلى هدفه المرسوم هذا؟ وهل سيكون في عقلاء العالم من يساير هذا الجنون، عندما لا يفرض تخبطه إلا على القرآن؟

أعتقد أن العالم الإنساني، أوعى من ذلك.. وأن أقل ما سيقوله عقل العقلاء لهؤلاء الناس: فأين هو حظ الكتب الفلسفية القديمة والتاريخية والفكرية والأدبية القديمة، عموماً، من إخضاعها لغسيل القراءة المعاصرة. - هذا نص الشيخ البوطي في التعليق على القراءة المعاصرة التي يدعيها البعض من

المندسين وأشباه المستشرقين وأضرابهم من العرب وبعض المنتسبين للإسلام أو غيرهم من الملاحدة والمشركين والمغرضين - »

ومنه فقد تبين الحق من الباطل في أن الدراسة العلمية لكتاب الله تعالى لا تتم إلا وفق الشروط القطعية التي أشار إليها العلماء المختصون بعلم اللغة العربية وعلومها الشتى ؛ مع التزام الحدود الشرعية في طرق التفسير وصور التأويل ، كالذي وقع في غابر الزمن من قراءات كلامية واعتزالية وقراءة بالرأي والعقل دون النقل رغم أن فيها بعضا من الاجتهادات السليمة التي تحوطت وتحذرت وتحفظت ...

دراسة في النماذج المختارة واستنباط المعاني والضوابط ؛ لا يمكن الحديث عن القراءات المعاصرة للقرآن الكريم دون التطرق إلى إسهامات المستشرقين في ذلك؛ لأن منطق الموضوعية وتلاقح الحضارات أثبت أن لغير المسلمين بعض الرؤى العادلة في النص القرآني وإن كانت نظرة المستشرقين إلى الإعجاز تتميز في الغالب « بطابعها النقدي، تحكمهم في ذلك الروح اللاتكفية المنافية للإيمان بالغيب فهم يعتبرون الكتب المنزلة ، تراثا إنسانيا انثروبولوجيا ، أهميته الأساسية تعزى إلى ما يمثلها من رصيد فكري، وروحي، وتاريخي، ومعرفي حققه الإنسان في حقبة ما ، ضمن مساره الحضاري، الكوني .. بهذا الاعتبار تناولوا القرآن ، ومن هذا المنظر قوموه .. »

ولا شك في أن طبيعة التناول الاستشراقي للحقيقة القرآنية - عموما - تفتقر إلى الموضوعية والمنهجية؛ فهو استبحاث لا متأدب في معظمه خاصة وأن أكثرية المستشرقين عرفوا من الكتاب المقدس والعهد القديم واستثمروا التهالك الذي ألحقته الإسرائيليات الملفقة فخلطوا بين ذلك الخطاب المتعدد والمتناقض وبين ما هو ثابت في النص القرآني، وليس بغريب أن يكونوا قد دسوا للقرآن في كتاباتهم، فهم أهل التضليل و« التدنيس المكشوف الذي عولمت به المقدسات في جملتها ، إذ ألحقت روح الاستبحاس الضرر بمعاني الربوبية حين حجمتها في التجسيم السافر... ذلك التجسيم الذي اتضع به مفهوم الكلية والجلال المرتبط بمضمرات الإنسان وبحدوساته الروحية القويمة » وكيف يتورع من حاد الله فسخط عليه الله ؟!

و مهما يكن ، فإن الذي يهمننا في هذا المقام أن نلقي نظرة عجل على ما رأيناه مناسبا في قراءات المستشرقين للإعجاز الفني القصصي، لأن المسائل الاستشراقية التي تناولت القرآن متشعبة ولعل حقل القص أوسعها مضمارا وأعمقها طرحا.

ولا بأس أن نستجلي - ههنا - موقف بلاشير تجاه القصة القرآنية وفنياتها الجمالية؛ فهو يقسم النص القرآني إلى مكّي ومدني، ويقوم - مثلاً - بمقارنة بين نصين قرآنيين لقصة واحدة وهي ضيف إبراهيم ومسألة العجل والعجز العقير... وينعت آيات النصين بقوله: «إحدهما من أوائل الدور الثاني المكّي والأخرى من الدور الثالث» حيث إن الأولى من سورة الذاريات الآيات [24-36] والثانية من سورة هود الآيات [69 - 74]؛ فنظّم من هذه المقارنة أن الزمن متباعد بين النص الأول والنص الثاني.

ثم يستنتج حقيقة الأدبية ولامح الإعجاز الفني في سياق النصين للقصة الواحدة بعد عملية إحصائية بقوله «في مقارنة بين الآيات نجد أنه من الخطأ أن ننسب القيمة الأدبية لمثل هذه الآيات إلى موسيقى الكلمات وحدها. إن مزية هذه القطع مردها أيضاً إلى الفن المكون من البساطة التي أشرتها، والكلمات الموضوعة في أمكنتها، وإلى الحركة التي تركز الشخصيات. إن هذه الظاهرة واضحة في سورة يوسف»، وهذا الذي جعل أحكام بلاشير أكثر موضوعية وأبين حجة فلم يقف عند حس الجرس وأثر الفواصل إنما عمّق من شأن الحكم وأثبت ما للنصين من رفعة أساسها هو النظم المعجز المتألف الذي جمع بين سهولة المبنى ووضوح المعنى وسلامة التركيب، وكأننا بلسان حاله يقول إن حقيقة الأدبية المعجزة تتجلى في وحدة الدلالات للقصة الواحدة رغم تعدد مبادئها حسب حقيقة التكرار، وبيّن أيضاً ما للشخصيات من حضور مركز في تضاعيف الآيات السردية ودورها في توجيه الأحداث، ولعله يوحى بصدق الأحداث وبُعدها الكلي عن التصنع أو القسرية في السرد، حتى بلغ بالباحث أن يقرر جلال هذا الصنيع في سورة يوسف، وهذا إقرار مبين يثبت ما للقصص القرآني من حضور مؤثر في الاستدلال على معالم الأدبية التي يريد بلاشير إثباتها بل وراح يؤكد منهجه بقوله: «وإذا ما قورن القصص القرآني ببعض الفصول المشابهة في سفر التكوين (GE'NESE) المثقلة باللغو والاستطرادات، ظهر أن القصص القرآني أعلى مرتبة بما لا يقاس فهو يتدرج برشاقة دون إشارات زائدة».

ويبدو أن بلاشير قد وضع يده على الصواب وهو يصدر حكماً على علوية القصص القرآني ونزاهته عما يوجد في سفر التكوين الذي جمعت فيه الافتراءات الزائفة والأخبار الكاذبة... وكل ما هنالك أن السرد القرآني غني بإيجازه وانسيابيته الفطرية التي تغني قارئها دونما شطط أو لغط... «و لعل أدبية القرآن قد وجدت في مباحث بلاشير، التي خصصها للتراث العربي الإسلامي، تقويماً يستمد نَصَفَتَهُ من رؤية تمحيصية شاملة لخصائص التراث

الأدبي العربي، الأمر الذي مكن الباحث من أن يقر للظاهرة القرآنية، بكثير من المزايا الجمالية، لا سيما وأنه كان يستخلص أحكامه من مقومات النص، كما تلوح له، أو كما يستبينها فيه» وهذا شرط من الموضوعية والعلمية البحثية، ومما يؤكد هذا الحكم تقارير بلاشير وإثباتاته المتعددة لفردة النص القرآني من خلال نصوص قصصية أخرى مقتفيا مواضع الجمال فيها، وهو مما ينبئ عن الدقة العلمية والموضوعية المتناهية، إذ يقول «وليس فن الحكاية، في سور أخرى، هو الذي يحملنا على التقدير بل المميزات الخطابية والأسلوبية، ففي سورة الأعراف يعجب المرء عندما يقرأ من الآية 57 إلى الآية 91 وعن الأنبياء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، من توازن القصص الخمس والتأثير المزدوج من تكرار اللازمة، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمي» .

نشعر ونحن نقرأ هذه المقولة أن بلاشير يدرك آليات القراءة وأدوات الإجراء وشروط الحكم إلى حد يؤهله إلى كشف الكثير من الحقائق والاستنباطات الجيدة؛ فقله [وليس فن الحكاية، في سور أخرى، هو الذي يحملنا على التقدير بل المميزات الخطابية والأسلوبية] يومئ بأن ما أدركه من جمال متذوق لم يكن عفويا أو ارتجاليا وإنما كان عن بصيرة من البحث الأكاديمي المعتدل، وذلك مما يثبت -حقا- أن الكاتب حكم فكره وقراءته الخاصة المباشرة للنص القرآني ولم يكن عبدا لوسائط متحيزة أو قاصرة؛ ناهيك عن احتكاكه بالوسط العربي المغربي وهو وسط حي مليء بشعور قداسي حميمي تجاه القرآن العظيم بل وتعظيم من يحب هذا الكتاب ويدرسه، «فقد تلقى علومه في الدار البيضاء ومراكش وكنيسة الآداب بالجزائر ودرس بالرباط ومراكش... وكذا دراسته لشاعر العروبة المتنبي وترجمته القرآن في ثلاث مجلدات وكتابه [حياة محمد صلى الله عليه وسلم]»، كل هذا وغيره من العوامل والبواعث التي دفعت بالكاتب إلى أن يظفر بالعديد من الأحكام الصحيحة، «لأن إحصاء بلاشير عن تعميق منظوره اللائكي حيال سماوية القرآن يعود إلى أخلاقيات اتقائية، تراعي مشاعر المسلمين خصوصا وأنه تضرع في الاستشراق في مرحلة كانت الجهود الكشفية تسعى إلى بث شيء من الاستئناس بين الشعوب الغالبة والمغلوبة».

ونخلص أخيرا إلى أن العمل الاستشراقي بعيوبه ومزاياه أظهر حقيقة لا مناص منها وهي وجوب قراءة هذا الكتاب العظيم، لأنه لو لم يحظ بتلك العظمة لما اهتم به المهتمون ولما شغلوا به أنفسهم، لكنهم علموا عظمتهم في آثاره الفعالة في الفكر العالمي وما بلغه من تأثير عبر القرون، أو أنهم توجسوا من

عظمته التي لا تخدم مآربهم و دسانسهم فقرأوه حتى يبالغوا بقراءته توجيه الأحكام وفق أهوائهم عنادا منهم وظنا بالفوقية والاستعلاء.

مما لا جدال فيه أن الباحثين المحدثين امتلكوا من مناهج البحث ما امتلكوا ونقبوا في دراسات من سبقهم فكانوا أكثر نظرا ودقة، حيث خصصوا بحوثا علمية معاصرة قائمة بذاتها في التذوق الفني و البياني للقرآن الكريم، ونحن في هذا المقام سنركز على بعض المؤلفات التي رأيناها وقعت على مرامي الإعجاز الفني لاسيما القصصي.

و من أولئك المحدثين الأستاذ الرفاعي الذي صب عنايته على البحث في إعجاز القرآن العظيم، فأفرد لذلك كتابه [إعجاز القرآن و البلاغة النبوية]، وقد فتح دراسته على أبواب عديدة من علوم القرآن وتاريخه ومواضيعه الشتى، ركز فيها على التذوق الجمالي للحقائق اللغوية واللسانية والصوتية، واصطبغ بحثه في ذلك بالاستطراد والتعميم وتعميق بعض الإشارات اللغوية الإعجازية التي أثلها القدامى كالتلاؤم بين المبنى والمعنى و الأحرف السبعة ومضردات القرآن و غريبها، ومسائل التحدي و الصُرْفَة و آراء السابقين في الإعجاز وكذا النظم... ومما يلاحظ أيضا في تفصيل تلك المحاور و جزئياتها المتناهية في التفرع خلو معظمها من التمثيل و التعليل الفني، ولعل ذلك راجع إلى أن الكاتب نظر إلى المعجزة من كل جهاتها، و بروح تتصف بأحكام مسبقة ودون الاستعانة ببحوث أخرى خاصة الحديثة مما جعل دراسته تضاف إلى تعزيز» الاتجاه الانطباعي الذي رأيناه لدى بعض الإعجازيين السابقين، ممن استكنهوا بمشاعرهم أدبية الخطاب القرآني، فتواجدوا بها إعجابا وتنويها، من غير أن يسعوا إلى استخلاص مواصفات نظرية لتلك الأدبية». ومثال الانطباعية التي جاء بها، تعليقه على التكرار وتنبيه الجاحظ عليه حيث أكد الرفاعي على وظيفة التكرار في مخاطبة بني إسرائيل و بيان الإعجاز فيه، « أي كأن ذلك مبالغة في إفهامهم و توسع في تصوير المعاني لهم و تلوينها بالألفاظ»، و ما هذا بجديد على ما استبق إليه الإعجازيون السالفون حيث إن قضية التكرار من الشيوخ و الذيوخ، بحيث لا تند عن أقلام هؤلاء، فلو بسط الرفاعي أحكامه بشرحها عن طريق نماذج قصصية تعكس حقيقة التكرار لتجاوز الحس الانطباعي إلى إدراك منهجي وتخريج عميق للمعاني و الفنيات والخصائص، ورغم ذلك فإنه بحكم منهجيته التفرعية الانتقائية مر بذكر إشاري للنظم اللغوي القصصي كقوله: « ثم الكلمات الذي يظن أنها زائدة في القرآن كما يقول النحاة، فإن فيه من ذلك أحرفا»، ومعنى هذا أن تلك الكلمات و الأحرف غير زائدة في أصل النظم إنما هي جزء منه لا تنفصل عنه و يضرب مثلا عن حرف [أن] في قوله تعالى: { فلما أن جاء البشير

ألقاه على وجهه فارتد بصيرا { من قصة يوسف عليه السلام ، ويرى في ذلك الحرف [الزائد] إعجازا مكيئا ، « مع أن في هذه الزيادة لونا من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب كثير من حسنه وروعته...» وهذا مذهب سردي لطيف يبرز ما للحرف من وقع في احتباك المعنى وشد خيوطه بالقصة وكذا حمل القارئ على تصور الحدث كما يجب أن يتصور، ودليل هذه اللطافة قرار ذلك الحرف بين أداة [لما] و الفعل [جاء] وهذا ضرب معجز في ميقاتية الفعل وتزمينه في صورة الحدث القصصي ومعنى هذا تأديت حرف [أن] لوظيفة جليلة يعز على السياق أن تحذف منه ، فهي « تصوير الفصل الذي كان بين قيام البشير بقميص يوسف وبين مجيئه لبعده ما كان بين يوسف وأبيه - عليهما السلام - وأن ذلك كأنه كان منتظرا بقلق واضطراب تؤكدهما وتصف الطرب لمقدمه واستقراره ، غنت هذه النون في الكلمة الفاصلة، وهي (أن) في قوله : (أن جاء) .»

ونحن نعلم أن الاستهلال بالأداة [فلما] يوحي بزمان معين في حركة السرد و يفرق بين حدثين متلازمين في الترتيب، إلا أن دخول [أن] عليها تؤكد حقا على طول الزمن مما لو كانت الأداة [لما] وحدها و ذاك ما علل له الرافي بالبعد المكاني أيضا وتطابقه على استطالة يعقوب - عليه السلام - الزمن النفسي في عودة الأمل المرتقب ، وكم كان تفسير الغنة - بأنها دلالة السرور والغبطة - تفسيراً نفسياً و لغوياً يطلعنا على التصوير الفني الذي اعتمده الكاتب في منهجه بالرغم من ضيق مجاليته.

وجاءت بحوث الأستاذ سيد قطب لتستكمل ما مهد له العلماء السابقون في تأثيل منطلقات البحث عن مواطن الفن الأصيل ضمن الإعجاز القرآني؛ فقد كانوا يجنحون في كتاباتهم إلى التعميم والشمولية والاطلاق وبعض الغموض والتلميح... » .. وبذلك بقي أهم مزايا القرآن الفنية مغفلاً خافياً وأصبح من الضروري لدراسة هذا الكتاب المعجز من منهج للدراسة جديد، و من بحث عن الأصول العامة للجمال الفني فيه، و من بيان للسّمات المطردة التي تميز هذا الجمال عن سائر ما عرفته اللغة العربية من أدب، و تفسر الإعجاز الفني تفسيراً يستمد من تلك السمات المتفردة في القرآن الكريم، و طريقة موحدة في التعبير عن جميع الأغراض ، سواء كان الغرض تبشيراً أو تحذيراً ، قصة وقعت أو حادثاً سيقع، و منطلقاً للإقناع أو دعوة إلى الإيمان، وصفاً للحياة الدنيا أو للحياة الأخرى، تمثيلاً لمحسوس أو ملموس، إبرازاً لظاهر أو لمضمّر، بياناً لخاطر في الضمير أو لمشهد منظور. هذه الطريقة الموحدة، هذه القاعدة الكبيرة هي التي كتبنا من أجلها هذا الكتاب هي.. (التصوير الفني) .»

و نستنتج من ذلك أن سيد قطب يعلل قاعدة التصوير في الخطاب القرآني لأنها تشمل المنافذ كلها في إيصال المعنى إلى المتلقي وذاك حين يتجاوز الخطاب بالتجريد إلى الخطاب بالمحسوس والمرئي والمتخيل ، وحقا إنه من المعقول أيضا أن الخطاب المشخص يحتوي - طردا - الخطاب المجرد لأنه مجموعة ألفاظ وأصوات قد أفادت أحكاما أو مجموعة أوامر شرعية مثلا إلا أن التعبير التصويري مدعاة إلى إعمال الخيال و مشاركة المتلقي للخطاب المرسل إليه مشاركة وجدانية وتلك سبيل علمية في الإقناع والاستدلال أيضا.

الخاتمة والمقترحات والتوصيات

وهكذا سلطنا تلك التدرجات الاجتهادية منقبين عن جملة من التأثيلات والإسهامات التي أضاعت زوايا من الإعجاز الفني السردى ، وإن كان جلُّها عَرَضَ للإعجاز القرآني عامة ، و لكون الخطاب القرآني مشدودا بالقداسة تبينَ لجمهور الإعجازيين وغيرهم من المستشرقين والباحثين فرادة النص المعجز ، و من ثم فقد بات البحث عن خبايا المعجزة القرآنية وأكنتها المحفوظة داخل النظم الذي لا ينضد ، واجبا دينيا وانفتاحا حتميا على الآخر وحقا عينيا من حقوق الإنسانية ، أكثر من أي وقت مضى ، كمثل هذه الدراسة التي التفتت إلى النص القرآني واستظهرت أدبيته المعجزة في زمن كثر فيه التنقيب عن الأدبية في النصوص الفنية العالمية وتأسيسها والتدليل عليها ، وهي دراسة [الخطاب القرآني] للأستاذ عشارتي التي تعد من المطالع الاستهلاكية في الدراسات المؤصلة لفقه الخطاب القرآني .

ومها يكن فإن عرضي هذه النماذج المختارة دون غيرها - مما أجلت من أمثالها - بينت على كثافة الأعمال العديدة والمختلفة في جهود المعاصرين من جهة الأحكام والعقيدة وغيرهما كثير ؛ إلا أنني ركزت على تخصص الطرح من ناحية نقد النقد لما يحفظ دقة التخصص بالنسبة لي وكذا لموضوع الإعجاز الفني في القصص القرآني.

ولابأس بذكر بعض من المقترحات والنتائج ومنها :

- لا تسلم الدراسات العالمية اليوم من التناقض والخلل والتناوب والتشظي ما لم يجتهد علماء المسلمين وأهل الاختصاص باللغة العربية وعلومها في سد الفجوة الفجة بينهم وبين الذين اجتهدوا في قراءتهم المعاصرة بناء على خلفياتهم وايدئولوجياتهم وأهدافهم ... ومهما كانت نياتهم .

- تأهيل طلبية العلم من العرب والمسلمين وغيرهم من أبناء الجبلدة الأدمية إلى تعلم اللغة العربية وعلومها ؛ إذ لا بأس بترجمة بعض علوم العربية وعلوم الشريعة ليمسّر الفهم وهذا دون الاعتماد على ما يطلق عليه ترجمة القرآن ومعانيه ؛ لأن السر الحقيقي هو استيعاب اللغة العربية بأسرارها وخصائصها.
- تجنيد التوحد العالمي في تدريس علم التفسير حسب مناهجه الإسلامية التي تم الاتفاق عليها قديما وحديثا.
- وضع معالم بينة الحدود بين قراءة البيان القرآني وكلام البشر من خلال ضبط سمات المقاربات المنهجية كالأسلوبية والسيمائية وغيرهما وفصل التأويل الفكري للإبداع الفني البشري عما قصده المولى تعالى بدلائل المميزات الخاصة باللغة العربية و متغىي الشريعة الإسلامية من الخطاب وفحواه كما أكدّه العلماء من جمهور سدد قولته قديما وما يزال ؛ رغم بعض الاختلاف .

المصادر والمراجع:

- القرآن العظيم ، (المصحف الشريف) ، برواية الإمام ورش عن الإمام نافع.
- 1 سليمان عشراي ، الخطاب القرآني ، مقارنة توصيفية لجماليّة السرد الإعجازي . د . ه . ج . الجزائر .
- 2 - سليمان عشراي ، العقيدة الإنجيلية وجدلية الانغلاق والانفتاح الشبكية المغاربية لإدماج العلم و التكنولوجيا في التنمية ، (من التقديم)
- 3- درجيس بلاشير ، تاريخ الأدب العربي، تر: إبراهيم الكيلاني ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط : 1986 ، ج 1 .
- 4- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مكتبة رحاب الجزائر .
- 5.. سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن .

الهوامش:

- 1 - د . سليمان عشراي ، الخطاب القرآني ، مقارنة توصيفية لجماليّة السرد الإعجازي . د . ه . ج . الجزائر ص: 32
- 2 - د . سليمان عشراي ، العقيدة الإنجيلية وجدلية الانغلاق والانفتاح ، الشبكية المغاربية لإدماج العلم و التكنولوجيا في التنمية ، (من التقديم)
- 3 - درجيس بلاشير ، تاريخ الأدب العربي ، تر: إبراهيم الكيلاني ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، و المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط : 1986 ، ج 1 ، ص : 230

- ⁴ - درجيس بلاشير ، تاريخ الأدب العربي ، ص : 231
- ⁵ - المرجع نفسه ، ص : 231 ، 232
- ⁶ - د - سليمان عشراطي ، الخطاب القرآني ، ص : 40
- ⁷ - بلاشير ، تاريخ الأدب العربي ، ص : 232
- ⁸ - درجيس بلاشير ، تاريخ الأدب العربي ، ص : 6
- ⁹ - د - سليمان عشراطي ، الخطاب القرآني ، ص : 37
- ¹⁰ - د - سليمان عشراطي ، الخطاب القرآني ، ص : 52
- ¹¹ - مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، مكتبة رحاب ، الجزائر
ص : 195
- ¹² - المرجع نفسه ، ص : 231
- ¹³ - المرجع نفسه ، ص : 231
- ¹⁴ - بمعنى التوقيت
- ¹⁵ - الرافعي ، إعجاز القرآن ، ص : 231
- ¹⁶ - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص : 30 ، 31